

المرأة في فكر الإمام الخميني



■ فايزه محمد- سلطنة عُمان

حظيت المرأة وقضاياها المجتمعية باهتمام خاص في فكر الإمام الخميني- رحمه الله- سواء قبل الثورة الإسلامية من خلال كتاباته المختلفة وخطاباته التي كان يوجهها لطلبته وللشعب الإيراني، أو بعد الثورة عندما جسدت تلك الكلمات في قوانين اهتمت بالمرأة باعتبارها نصف المجتمع. وكان الإمام الخميني يؤكد في مختلف كتاباته وخطاباته أن تاريخ البشرية لم يعرف ديناً أو فكراً اهتم بالمرأة ومكانتها أكثر من الإسلام، حيث يرى أن نهضة المرأة لم تنطلق إلا بعد الإسلام، إذ تجسد ذلك في تعاليم القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام، فالمرأة تجد كرامتها حيث يكون الإسلام وتفقدتها عندما يغيب الإسلام وأحكامه في أي مجتمع. ويقول الإمام الخميني رحمه الله: "ومع كل غياب للإسلام عن المجتمع عبر التاريخ، تنحط مكانة المرأة، ومع كل إشراقه جديدة له ترتفع مكانتها في المجتمع مجدداً لترجع إلى إنسانيتها، لقد استعادت اليوم المرأة- هذا العضو الفاعل في المجتمع- مكانتها إلى حد ما ببركة النهضة الإسلامية" (١).

وقد بلغ اهتمام الإمام الخميني بالمرأة أن جعل مناسبة ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يوماً للمرأة الإيرانية، وسبب اختيار هذا اليوم هو لأجل عظمة هذه الشخصية التي تجسدت فيها جميع معاني الإسلام وعظمته، ولم لا فهي ابنة خير البشرية ونبي هذه الأمة محمد عليه وآله الصلاة والسلام، وزوجها هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبناؤها هما الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، كما أن اختيار هذا اليوم المبارك لأجل أن تقتدي المرأة الإيرانية في حياتها وأخلاقها بهذه الشخصية الإسلامية العظيمة التي جسدت الإسلام وتعاليمه المقدسة في شخصيتها فكانت المرأة القدوة. ويقول الإمام الخميني في إحدى خطاباته بمناسبة ذكرى ولادة السيدة فاطمة الزهراء: "اسعين في تهذيب الأخلاق وادعون صديقاتكن إلى تهذيب الأخلاق، حاولن أن تبيدين رد فعل مقابل الجنائيات التي تحمّلتنها، واسعين في حفظ كرامتك التي هي كرامة المرأة العظيمة، واقتدين بالمرأة الفريضة سيدتنا الزهراء (س) وعلينا جميعاً أن نأخذ تعاليمنا من الإسلام بواسطة الزهراء وأولادها ونكون كما كانت هي، واسعين في نيل العلم والتقوى، حيث أن العلم غير منحصر بشخص معين، فالعلم للجميع والتقوى للجميع والسعي للوصول إلى العلم والتقوى وظيفتنا جميعاً" (٢).

ويوضح سبب اختيار ذكرى ولادة الزهراء المرضية عليها السلام يوماً للمرأة في إيران: "إن كان ينبغي أن يكون أحد الأيام يوماً للمرأة، فأني يوم أسعى وأرتقي فخراً من يوم الولادة السعيدة لفاطمة الزهراء- سلام الله عليها- المرأة التي تعد مفخرة بيت الوحي، وشمساً في سماء الإسلام العزيز، امرأة فضائلها في مصاف الفضائل غير المتناهية للرسول الأكرم وبيت العصمة والطهارة، امرأة

كل من قال فيها وبغض النظر عن طبيعة نظرتة إليها لم يف بمديحتها، والأحاديث التي وصلت عن بيت الوحي في حدود فهم المستمعين فهي بحر لا يستوعبه إناء، وكل ما قاله الآخرون كان بمقدار فهمهم لا في حدود منزلتها، واليوم اكتسبت المرأة؛ هذا العنصر الاجتماعي المؤثر، مكانتها إلى حدٍ ما بفضل النهضة الإسلامية“ (٣)

ومن يقرأ تاريخ الثورة الإسلامية في إيران ونهضة الشعب الإيراني من أجل الحرية والاستقلال يجد حضوراً كبيراً للمرأة في مختلف فصولها وأحداثها، فقد كان للمرأة حضورها البارز في أحداث الثورة الإسلامية حيث شاركت في المظاهرات والمسيرات والاحتجاجات ضد نظام الشاه، وأسهمت بشكل كبير في انتصار الثورة الإسلامية، وكان لخطابات الإمام الخميني وكلماته دور كبير في مشاركة المرأة الإيرانية بفعالية في أحداث الثورة والإسهام في انتصارها، وبعد الثورة الإسلامية انطلقت الدعايات المغرضة من الاتجاهات المعارضة سواء داخل إيران أو خارجها بأن النظام الإسلامي الجديد سيمنع عمل المرأة بحجة أنه حرام ومخالف لتعاليم الإسلام، وكان الغرض من نشر هذه الشائعات هو تغيير الناس من النظام الإسلامي، وكان الهدف من نشر هذه الشائعات وترويجها بشكل واسع وفي وسائل الإعلام المختلفة هو تشويه صورة الإسلام وتعاليمه، وأنه غير قادر على ممارسة الحكم في القرن العشرين، ولكن الذي حدث هو عكس ذلك، حيث انطلقت المرأة للعمل في مختلف الميادين سواء السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية أو الرياضية وغيرها لأن كل من لديه أدنى معرفة بالإسلام وأحكامه يدرك أن الإسلام لا يمنع عمل المرأة إذا ناسب شخصيتها وحفظ كرامتها مع الاحتشام ومراعاة الأحكام الشرعية. ويقول الإمام الخميني: “فلتعمل المرأة ولكن بالحجاب، لا مانع من عملها في الدوائر الحكومية ولكن مع مراعاة الحجاب الشرعي والحفاظ على الشؤون الشرعية“ (٤). وهناك كلام رائع قرأته للإمام الخميني ويدعو فيه المرأة للانخراط في قضايا الساعة التي تهم المجتمع سواء القضايا السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية، حيث يقول فيه “إن كل هذا التخلف والانحطاط ينبغي أن نقوم بمعالجته جميعاً ولا يمكن لأي أحد بمفرده أن يقوم بذلك، فإذا ظنت النساء أنه لا بأس بجلوسهن جانباً حيث يقوم الرجال بهذا الدور، فهذا باطل، وعلى الأخوات اللواتي لم يتدخلن حتى اليوم في قضايا الساعة أن يتدخلن، وعلى جميع النساء والرجال أن يدخلوا في العمل الاجتماعي والسياسي وأن يراقبوا ويبدوا وجهات نظرهم (٥)“.

ومن القضايا التي تكرر ما تسمى بالمنظمات الدولية كثيراً والتي تقف وراءها الولايات المتحدة الأمريكية والغرب والكيان الصهيوني هو “تحرير المرأة”، وقد مارست كثير من الأنظمة الاستبدادية ومنها النظام الشاهنشاهي الكثير من المظالم وقمع المرأة تحت هذا الشعار المضلل، ولكن قبل أن نناقش هذا المصطلح الذي أتى إلينا من الغرب لنسأل أنفسنا: ماذا يعنون بـ “تحرير المرأة”؟ وعن أي حرية يتحدثون؟ وأي حرية يريدون؟ هل أنهم يريدون تحرير المرأة بالفعل، لكن تحريرها من من؟ من يتابع تاريخ هذه المنظمات والمؤسسات المشبوهة وتقاريرها يجد أنهم يريدون تحرير المرأة من دينها وعقيدتها، من عفتها وأخلاقها، من كل ما يربطها بوطنها ودينها وعاداتها وتقاليدها وأسرتها، وباختصار شديد يريدون المرأة أن تكون سلعة تباع وتشترى حسب المزاد وفي ذلك يقول الإمام الخميني: “لو رأيتم النساء في تلك الأوضاع التي كانوا يريدونها لهن باسم (تحرير النساء وتحرير الرجال) لأدركتم أن كل ذلك لم يكن غير خدعة وتضليل، لم يكن الرجال أحراراً ولا النساء، ولا حتى الصحف أو الإذاعة، أو أي شيء آخر، لم تكن الحرية هدفهم مطلقاً، صحيح أن اسمها والحديث عنها والدعاية لها كان يتردد بكثرة، إلا أن الحرية التي تقود شبابنا من الفتيان والفتيات إلى التيه والضياع، أنا أسهي هذه الحرية التي كانوا يدعون إليها بالحرية المستوردة.. الحرية الاستعمارية، أي الحرية التي تسود البلدان التي يريدون لها أن تكون تابعة، هذه الحريات يأتون بها هدايا (٦)“.

المصادر:

- ١- من كلمة بمناسبة يوم المرأة بتاريخ ٥-٥-١٩٨٠.
- ٢- موقع “وكالة أنباء تقریب” الإلكتروني
- ٣- صحيفة الإمام ج ١١ ص ٢٢٩
- ٤- من حديث في جمع من علماء الدين وطلبة العلوم الدينية في قم بتاريخ ١٩٧٩/٣/٦.
- ٥- موقع الزكية الإلكتروني- مقال بعنوان “المرأة والعمل في فكر الإمام الراحل“.
- ٦- من حديث في جمع من عوائل الشهداء بتاريخ ١٧/٩/١٩٧٩.